

المحاضرة الثانية: أخلاقيات البحث العلمي

Ethics of scientific research

تمهيد:

هناك مجموعة من الواجبات والمسؤوليات مرتبطة بصفة - مباشرة أو غير مباشرة - بأخلاقيات البحث العلمي، سواء أكان هذا البحث يضطلع به باحث أو فريق بحث، تابعين لمؤسسة حكومية أو غير حكومية، فلا شك أن إدارة بحث من البحوث العلمية تستمد مرجعياتها الأخلاقية من المراقبة الذاتية للباحث تبعا لما تمليه القوانين الوضعية أو إيماننا بالرقابة الإلهية (الوازع الديني)، وهذه قد لا تأتي أكلها أحيانا أمام بعض الأمراض النفسية (الظاهرة و الباطنة) مثل الغيرة والحسد والتكبر و الأنانية وإغراءات المال وحب الشهرة والمنافسة غير الشريفة في كثير من الحالات، لهذا وضع الخبراء في القانون والبحث العلمي وأخلاقياته مجموعة من القواعد والتشريعات المكتوبة "المتشددة"، تنظم أخلاقيات البحث العلمي من حيث المدخلات والمخرجات، وعادة ما تتمثل هذه القواعد والنصوص التنظيمية فيما اصطلح على تسميته بـ "مواثيق الشرف" أو "أخلاقيات الممارسة المهنية" (Codes of deontology). كما توجد مجالس أخلاقية (Comities of deontology) ، منتشرة في مؤسسات بحثية أو خارجها، تابعة لدوائر حكومية أو غير حكومية، وظيفتها السهر على مراقبة مدى "تطابق" أو "تباعد" البحوث العلمية الفردية أو الجماعية تجاه القواعد الأخلاقية التنظيمية. في الواقع، تخص هذه المبادئ والقواعد المعنيين بالبحث العلمي بصفة مباشرة أو غير مباشرة، أي الباحثين والمتخصصين، المتطوعين، مجتمع البحث أو العينة كما هو الحال في

العلوم الإنسانية والاجتماعية على سبيل المثال، كما تخص أيضا الباحثين الآخرين الذين يعرض عليهم الباحث المتخصص موضوع بحثه وحيثياته، وأخيرا وليس آخرا، السلطات العمومية.

يمكن تلخيص بصفة عامة بعض أبرز أخلاقيات البحث العلمي في النقاط التالية:

أولا- يتطلب البحث العلمي من صاحبه التحلي بالصدق والأمانة حتى لا يفقد المشروع العلمي مصداقيته نتيجة الانحراف الأخلاقي، فالشخصية العلمية يجب أن شخصية صادقة وأمينه، بعيدة عن الغش و السرقة العلمية، كما أن الأمانة العلمية شرط أساسي في مناقشة آراء الآخرين، أساتذة كانوا أم زملاء باحثين.

ثانيا- يتطلب البحث العلمي من صاحبه التواضع وقبول النقد الموجه من قبل باحثين آخرين سواء أكانوا من الزملاء (بعض أعضاء فريق البحث مثلا)، أم من خارجه أو حتى من خارج بلده الأصلي.

ثالثا- إبلاغ المتطوعين كما هو الحال في العلوم الطبيعية، أي العينة، كما هو الحال في العلوم الإنسانية والاجتماعية بهوية الباحث العلمية و المعرفية الرسمية، بطبيعة البحث وأهدافه الرئيسية، مع عدم إجبارهم على التعاون بل دعوتهم بأدب عبر شرح مدى أهميتهم ومساهماتهم - بصفة مباشرة أو غير مباشرة - في تطوير المعرفة العلمي إن أجلا أم عاجلا مع احترام خصوصياتهم الاجتماعية و الايديولوجية، كما أن للمبحوثين الحق في الاطلاع على نتائج البحث الرسمية

باعتبارهم كانوا وسيلة وهدف البحث العلمي، و هذا حتى يظل الباحث ملتزما بواجباته الأخلاقية و الانسانية المتمثلة في بعض أبعادها خدمة المجتمع وتنمية معارفه بصفة أصيلة ومبدعة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

رابعاً- احترام حياة المبحوثين الخاصة، أي عدم البوح بها للغير حتى وإن كانوا من أقرب الأقربين (الحفاظ على السر المهني) إلا إذا وافق المبحوث أو المبحوثين على ذلك شفها أو كتابيا، وفي حدود ما تسمح به القوانين التنظيمية في هذا الإطار الأخلاقي .

خامساً- عدم السخرية من معتقدات أو سلوكيات أو عادات المبحوثين (ازدراء الأديان والثقافات) من باب إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق .

سادساً- ضرورة احترام مواعيد المقابلات، أي إبلاغ المبحوث أو المبحوثين مسبقا في حالة حدوث مانع ما استطاع الباحث إلى ذلك سبيلا.

سابعاً- إجراء البحث العلمي في بيئة مغلقة أو مفتوحة (الوسط المفتوح)، تستجيب لشروط الأمن والنظافة والتهوية قدر المستطاع.

ثامناً- عدم إرهاب المبحوث أو المبحوثين بالأسئلة المستمرة دون توقف، بل يجب تقسيم مواعيد المقابلات حسب ظروف المبحوث أو المبحوثين النفسية، الزمنية و المكانية، أي التحلي بالصبر الجميل وسياسة النفس الطويل قدر المستطاع ذلك أن المقابلات هي بامتياز، تفاعل إيجابي، متبادل ما بين الباحث

والمبحوث وهي في الواقع، تختلف نوعيا عن تلك التحقيقات الأمنية والاستخباراتية المتفاوتة الخطورة على الصحة النفسية و الجسمية والعقلية للمستجوب إن آجلا أو عاجلا والتي عادة ما تعتمد بصفة مبرمجة أساليب الترغيب والترهيب، من جملتها: ضغط الأسئلة، الحرمان الجزئي أو الكلي من الأكل والشرب والنوم، الإغراء، الترغيب والتعذيب النفسي والجسدي، الحرب النفسية وغيرها من الإجراءات الأمنية المعقدة بهدف الحصول على أجوبة موضوعية في المكان والزمان.

تاسعا- ضرورة تبسيط الأسئلة (المغلقة، شبه المغلقة و المفتوحة) واجب أخلاقي، أي إنزال المبحوث أو المبحوثين منازلهم، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، أي بما يفهمون، وواجب منهجي علمي أيضا، حيث يفترض أنه كلما كانت الأسئلة مبسطة و واضحة من حيث المبنى و المعنى قدر الإمكان كلما كانت الإجابة سهلة، سلسلة والعكس صحيح.

عاشرا- بناء الثقة مع الباحثين (فريق البحث مثلا) من جهة، و المبحوثين من جهة أخرى تعد من أولوية الأولويات باعتبارها واجب أخلاقي، يضطلع به الباحث قبل الشروع في البحث، لهذا ينصح الخبراء المهنيون بعدم الاستعجال في سبيل الحصول على المعلومات إلا في حالات تحددها أحيانا مصادر التمويل الخارجية مثلا، ففي التأني السلامة و في العجلة الندامة !. إن الضغط على المبحوث بوحى من عقلية الاستعجال الظرفي أو المزمن، من شأنها أن تضعف عنصر الثقة أكثر فأكثر إلى درجة الوصول إلى مرحلة نفاق اجتماعي متبادل (التصريح الكاذب مثلا).

حادي عشر- الابتعاد عن مصادر التمويل المشبوهة أو المعلومة الفساد، بل يجب الإبلاغ عن مثل هذه التجاوزات للسلطات العمومية في حالة اكتشاف و التأكد من وجود اختراقات مادية أو أدبية أو هما معا، وهذا في حدود ما يسمح به القانون، هذا من الناحية الأخلاقية. أما من الناحية الأخلاقية التقنية المرتبطة بالبحث العلمي فيمكن إيجازها هي أيضا في النقاط التالية:

أولا- اكتساب التأهيل الجامعي التخصصي ذلك أن الأوضاع الاجتماعية - المهنية يمكن أن تكتسب أو تقتنص بالجهد و الطموح، كما يمكن أن تتال بالجدارة (Meritocracy)، وهذه الأخيرة تكتسي في الواقع طبيعة معقدة بصورة خاصة، فالجزاء الذي يرتبط بالإنجاز هو الاستحقاق، حيث يمكن أن يكون ثقافيا أو معنويا، أو مركبا من الاثنين.

ثانيا- الالمام النظري والتطبيقي بخطوات البحث العلمي ومناهجه، خاصة تلك المرتبطة بتخصصه.

ثالثا- عرض حيثيات البحث (الجزئية أو الكلية) في شكل تقرير مكتوب على مجلس علمي "متخصص" بهدف التقييم و التقويم.

رابعا- الأخذ بعين الاعتبار النقد العلمي الموضوعي الموجه للباحث أو لبحته العلمي على أساس أنه نقد بناء، أي التسلح بالروح العلمية المنفتحة على أكثر من تخصص و أكثر من لغة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

خامسا- تجنب الغش الأدبي أو السرقة العلمية، أي ما اصطلح على تسميته ب الانتحال (plagiarism) و بأي وسيلة كانت، فهي بمثابة انتحار فكري أو موت ثقافي للباحث ولو بعد حين ، ولا يمكن الوقاية من هذا المرض النفسي المنتشر إلا

بالاطلاع على أخلاقيات البحث العلمي والالتزام بها في إطار مبدأ الأخذ
بالأسباب و التوكل على الله - سبحانه وتعالى - في السر والعلن.

سادسا- العمل على تحيين المعلومات العلمية والمعرفية المرتبطة بمجال
تخصص الباحث بأكثر من لغة، أي مواكبة التطورات والإنجازات والتجديدات
العالمية المرتبطة بتخصصه قدر ما تسمح به الإمكانيات التكنولوجية والمكتبية
المتاحة أو المستحدثة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

سابعا- التحلي بالعدالة والإنصاف حيث أن العدل يقتضي عدم التشهير ،
وإجلاء الحقيقة، والبعد عن التعصب "المذهبي" و " الايديولوجي" والنزعات
النفسية المرضية التي تسيطر على النفس البشرية كالتكبر، الحسد، الغيرة، الغش،
الإقصاء، العنصرية، التعالم .. و الله المستعان.¹

ثامنا- أخيرا و ليس آخرا، اعتبار التفكير والتدبر والنظر في الظواهر الطبيعية
والاجتماعية أو بكلمة أدق في "الآيات الكونية" و " السنن الاجتماعية و
التاريخية"، فريضة إسلامية واجبة (فرض عين) على كل مسلم ومسلمة، وصلا
إلى درجة البلوغ والعقل و نالا قسطا من العلوم والمعارف العامة أو
المتخصصة، وهذا تحقيقا لنظرية الاستخلاف وعماراة الأرض و شكر المنعم في

1 - للاستزادة حول أخلاقيات البحث و الباحث العلمي، راجع على سبيل المثال لا الحصر:
- سيكاران، أوما، طرق البحث في الإدارة، مدخل بناء المهارات البحثية، ترجمة إسماعيل علي بسيوني وعبد الله بن
سليمان العزاز، النشر العلمي والمطابع (ط. الأصلية عام 1992)، الرياض 1998، ص 192.
- Salkind, Neil J, Exploring research, pearson education, Inc, 6th ed., New Jersey,
2006,p 58
-Saunders Markand and al, Research methods for business students,pearson
education limited, 4th ed., New Jersey, 2007, p153 and p 178.
- أبوزينة، فريد كامل وآخرون، المرجع نفسه، ص ص 109-106 و ص ص 209-211.
- Angers Maurice, Op. cit., pp 49-55.
- المدني رفيق الإسلام، المرجع نفسه، ص 13-14.
- الساعاتي حسن، تصميم البحوث الاجتماعية: نسق منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص ص
89-79.

السراء و الضراء في إطار الاجتهاد الأصولي المقاصدي العام مصداقا لقوله تعالى: ((إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتته و ما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار. ربنا و آتنا ما وعدتنا على رسلك و لا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.))² صدق الله العظيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا .

خلاصة

لا شك أن أخلاقيات البحث العلمي وجدت لتنظيم حركة البحث العلمي، فهي تتعامل بشكل عام مع ما هو صحيح، و ما هو غير صحيح، ما هو مناسب، و ما هو غير مناسب، ما هو جائز(مباح)، و ما هو غير جائز(غير مباح) كما جاء في التشريع الإسلامي مثلا، فمن الطبيعي أن تتوصل النقاشات و الحوارات الأخلاقية بين العلماء على اختلاف انتماءاتهم الإيديولوجية والمنهجية و المؤسساتية عبر منظمات حكومية أو غير حكومية إلى درجة من الاتفاق العام حول ما ينبغي أن يكون حفاظا على مصداقية الباحث من جهة والبحث العلمي من جهة أخرى في بعدهما الاجتماعي و الإنساني التنموي. وفي هذا السياق الابستمولوجي الأخلاقي يمكن إيجاز أخلاقيات البحث العلمي كما وردت في محاضرتنا على النحو التالي:

² سورة الأنعام/ 194.

أولاً: التحلي بالصدق و الأمانة العلمية سواء في عملية البحث عن مصادر المعلومات أو المعطيات أو في عملية عرضها كنتائج جزئية أو كلية على المختصين.

ثانياً: تبني العدالة و الإنصاف (البعد عن التعصب و النزعات النفسية المرضية كالغش، الكذب، التآمر، السب و الشتم).

ثالثاً: التواضع و قبول نقد الآخرين بصدق و رحب (التميز بالمرونة و الانفتاح العقلي).

رابعاً: شكر المنعم على نعمة العقل و الإيمان في المكان و الزمان.
الكلمات المفتاحية: أخلاقيات البحث، السنن الكونية، السنن التاريخية والاجتماعية، الثقافة الإسلامية، الاجتهاد المقاصدي، التدبر و التفكير، الأصالة والإبداع.